قراءة

أن تعشق الحياة ما بعد السيرة
نساء علوية صبح

لا تبعد رواية الكاتبة اللبنانية الصادرة حديثاً عن ان تكون سيرة. إنها سيرة الروائية ومعاناتها، لكنها مع ذلك سيرة مموّهة، سيرة تقصد ان تكون رواية، فالبطلة التي هي الكاتبة نفسها لا تتسمّى باسم آخر فحسب، ولكنها في الرواية ليست كاتبة، بل راقصة

عباس بيضون

عنوان رواية علوية صبح «أن تعشق الحياة» (دار الآداب، 2020) يُشبه أن يكون دعوة، يكاد يكون عبرة الرواية وخلاصتها. البطلة «بسمة» تكابد مرضها الذي يخترق الرواية من أوّلها إلى آخرها، لكنّها في كل محطّات هذه المكابدة تشير إلى هذه الدعوة. الحياة أمامها وجسدها الذي يخونها لها، وهي عند كل فصل تسترجع شوقها للحياة ولاسترداد جسدها.

في مطلع الكتاب، تُهدي الكاتبة روايتها إلى الدكتور بول بجاني طبيبها الذي لولاه «لما عادت إليّ الحياة والحب والكتابة». لا أحتاج معرفتي بالكاتبة ومرضها، لكني أقع في نهائية الرواية على اسم الدكتور ذاته يعالج بطلتها بسمة. لا تبعد الرواية إذن عن أن تكون سيرة. إنها سيرة الروائية ومعاناتها، لكنّها مع ذلك سيرة مموّهة، سيرة تقصد أن تكون رواية، فبطلة علوية التي هي الكاتبة نفسها لا تتسمّى باسم آخر (بسمة) فحسب، ولكنها في الرواية ليست كاتبة، إنها راقصة. ربما فضّلت الروائية ذلك لتخيّل علاقة البطلة بجسدها الذي هو آلة الرقص، والذي يغدو لذلك بالمرض هدفاً مباشراً وتجسيداً قريباً لعدوان المرض ومكابدته. مع ذلك، هناك إلى جانب البطلة بسمة شخصية أنيسة الروائية التي انتصرت على الشلل وعادت إلى كتابة الرواية، ممّا يجعلها وجهاً آخر للكاتبة. هكذا تقوم السيرة على ازدواج بسمة وأنيسة وهما معاً، وإن الثانية بدرجة أقل، تقدّمان وجهي السيرة. بين بسمة وأنيسة درجة من المحاكاة والتماثل تعزّز هذا الحكم.

مع ذلك، بسمة هي التي تبسّط المعاناة وتتدرّج فيها، فيما أنيسة تلخّصها وتبدأ من نهايتها. لقد احتفظت لها علوية بدور الكاتبة الذي لها، فيما حلّ مرضها المسيطر ومشاعرها وأفكارها وأطوارها وغرامياتها في بسمة الراقصة. والحال أننا نقع في الكاتبة أيضاً، فهي التي تروي وتصل في روايتها أحياناً إلى لمعات أدبية، بل إلى ما يقرب من الشعر، كما نجد في هذا المقطع: «ومن قال لك إن الصوت لا يحمل ثقل المرض كله على حباله الرقيقة... ولو كان للصوت بصمة لكان لصوتي بصمة اسمها يوسف». بسمة تستحضر المرض الذي هو عبارة عن تشنّجات تشمل الجسد كلّه عند كل وقت. لكنها حتى في هذا الحال تستعيد على الدوام شوقها للحياة. تستحضر المرض، وغالباً، بل دائماً، في لحظة مقاومة تنتهي بعودتها في نهاية الرواية إلى الرقص، الذي تسترد به جسدها وتعيده خفيفاً حتى الطيران. لكن بسمة لا تمرض فقط، إنها ترجع إلى الخلف، إلى أمها الغاضبة وإلى أبيها الذي لا يكفي الأم ولا تهيّبه هي وتراه أقلّ من الجار المهيب، إلى أن يسقط مريضاً وتُبتر قدماه وتقوم هي بحمله وتنظيفه، ممّا يسخطها عليه، إلى أن يموت فتشعر بغيابه وفراغه.

لا نعلم ما الذي ينضاف من هذه العودة إلى الخلف إلى السيرة الحقيقية للكاتبة، لكننا نجد فيها ما يردّنا إلى روايتَي «مريم الحكايا» و«دنيا» للروائية نفسها. فيهما نجد الأم أو ما يشبهها في البيئة اللبنانية الجنوبية، كما نجد البيئة نفسها بتلاوينها وتضاعيفها ومحيطها النسوي بخاصة.

خارج هذه البداية، نحن في زمن آخر ومناخ آخر. المحيط النسوي في «أن تعشق الحياة» متّصل بما يشبه أن يكون نظرة نسوية، فالواضح من الرواية أن الذكورية الممقوتة تظهر بين الحين والآخر ممقوتة أيضاً، لكن المحيط النسوي يضمّ إلى جانب البطلة بسمة صديقتيها أنيسة وأمينة. ليست أنيسة سوى شخصية معاصرة، إنها المرأة المثقّفة الكاتبة التي لا تسلم، مع ذلك، من عسف الرجال. أمّا أمينة، فهي شخصية شعبية تملك السمات الفلكلورية للمرأة الشعبية. إنها عزافة تستحضر جدّها في أحلامها ليتبنّيا لها بمصائر ومخارج من يلجأ إليها في تفسير الأحلام أو الاستفسار عن مشكلة.

أمينة تردّنا بهذه الشخصية إلى بيئة «مريم الحكايا» و«دنيا». إنها تحلم بالخطّاب وهي بالطبع لن تمارس الجنس إلا مع زوج شرعي. نساء «أن تعشق الحياة» يجمعن بين هاتين الشخصيتين المختلفتين بدون أن يظهر اختلافهما، بل تناقضهما، في صلتهما ببسمة. أمّا الشخصيات الرجالية، فهي في الغالب لعشاق بسمة الثلاثة: أحمد، ويوسف، وحبيب. وهذه، على حدّ تعبير الرواية، شخصيات افتراضية. أحمد، أوّلها، لا نعرفه إلا ميتاً، ولا نعرف أخباره، ومنها وصيته، إلا بعد الموت، وفيها يُحضّر أحمد بسمة لما بعد غيابه، يريدها أن تحب وأن تعيش وأن تحب الحياة. الشخصية الثانية، يوسف، نعرفه مفوّهاً ولطيفاً وشاعرياً ومتأملاً إلى أن يقع في لون من التشدّد الديني، ينتهي به إلى ترك الرسم وهجر بسمة، ثم الطلب منها أن تتحجّب وتترك الرقص وتتفرّغ له وتطيعه. أما الرجل الثالث، حبيب، فهو استعادة لشخصية أحمد النبيلة المضحّية المبشّرة بالحياة. روائي ورسّام ومسرحي، هُم الثلاثة شخصيات نموذجية. إنهم نماذج مخلوقة روائياً.

بسمة ليست فقط المريضة، إنها أيضاً الراقصة، وهي أيضاً مراقبة لظرف تاريخي، هو ظرف العنف الإسلاموي والربيع العربي. هذا الظرف الذي يبدو خلفية من الظلال للرواية، لا يلبث أن يغدو محورياً في نهايتها. هنا لا نتعرّف فقط على العنف الإسلاموي ولكن أيضاً على تأويلات دينية معادية للمرأة، كما نجد ذلك في فتوى «تفخيذ» الرضيعة للإمام الخميني.

رواية علوية صبح تكاد توازي ما بين الانهيار السياسي العربي ومرض الكاتبة. إننا نشعر بهذا الانهيار في جسدها الذي تتصارع أعضاؤه، في عنف يذكّر بالعنف السياسي في الخارج. مع ذلك نحن من أول الرواية إلى آخرها نسمع بصوت خافت أولاً، وصوت مدوٍّ في الأخير، أنشودة الخلاص من المحنة ومن الانهيار ومن المرض. ترى هي

> نشعر بهذا الانهيار في جسدها الذي تتصارع أعضاؤه

> لا تبدو سيرة البطلة شخصية، بقدر ما هي حميمة وخاصة

علوية صبح

نوعاً أيضاً بالخلاص العربي. سيرة البطلة لذلك تبدو لا شخصية، بقدر ما هي حميمة وخاصة. الماضي الكبير يتجاوز الأسرة إلى ما وراءها كما نرى في فانتازيا السبع جدّات الجميلة، فللسيرة ما أمامها وما وراءها. إننا هكذا في السيرة وفي ما بعدها.

(شاعر وروائي من لبنان)

بطاقة

وُلدت علوية صبح في بيروت سنة 1955، ودرست الادب العربي والادب الانكليزي في «الجامعة اللبنانية» في بيروت. وبعد تخرُّجها عام 1978، عملت في التعليم والصحافة الثقافية. بدأت بكتابة ونشر نصوصها النثرية والشعرية في بداية العشرينات من عمرها. صدر كتابها الأوّل «يوم الايام» عام 1986. «ان تعشق الحياة» (2020) هي رابع رواياتها بعد كلّ من: «مريم الحكايا» (2002)، و«دنيا» (2006)، و«اسمه الغرام» (2009).

صوت جديد

من أي زاوية سنكتب ونتكلم؟
سميحة مسعودي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

تونس ـ العربي الجديد

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

الكتابة الجديدة ليست تلك التي تطرح قضايا وأساليب مستحدثة فحسب، ولا هي الكتابة المختلفة أو الغريبة إذ يمكن أن تكون جذورها مغروسة في التراث القديم، ولعلّ ذلك أحد شروط الكتابة الجديدة، فمعرفة القديم هو ما يتيح معرفة المواطن التي تحتاج إلى تطوير أو التي ينبغي التمرد عليها. وقد تكون الكتابة الجديدة ذلك السهل البسيط الذي نشعر به ونراه أمام أعيننا يرتع كالغزال، يبهرنا لكنه متمنع يتنطّع جامحاً لا يمسك به إلا صاحب تجربة في الحياة وحامل موهبة وقارئ جيّد شغوف.

■ هل تشعرين بأنّك جزء من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

طبعاً أشعر بأنني جزء من جيل أدبي له ملامح مختلفة وناضجة في مختلف الأجناس الأدبية، خصوصاً في الشعر والرواية. أشعر بذلك من خلال صعود أسماء وتظاهرات جديدة مثل النصوص التي تقدّم في «بيت الشعر التونسي» أو «مهرجان الأدباء الشبان». أعتقد أنّه من بين كل عشرة إصدارات يمكن الظفر بثلاثة كتب جيدة لكتّاب من هذا الجيل، وهذه نسبة محترمة وتبشر بكثير من الإبداع.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

هي علاقة عميقة جداً مع بعضهم، وعادية إلى أقل من عادية مع آخرين، فلا يخفى أن فيهم من هو متعصّب إلى المدارس التقليدية أو متمسّك بالجانب التقني من الكتابة إلى درجة تلاشي المعنى. لكن، عموماً أؤمن بضرورة التواصل بين الأجيال وأن هذا التواصل مكسب من أجل التمكّن من تجربة الكتابة التي خاضوها قبلنا وعاشوا طقوسها.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقة متعدّدة الأوجه؛ من بعض وجوهها الصراع ومن وجوهها الأخرى الإعجاب، وفيها نقد متبادل أيضاً. البيئة الثقافية أشبه بالقرية الصغيرة التي تتراوح فيها علاقاتنا بين الإعجاب بالبعض ومتابعته بشكل دقيق وتجاوز البعض الآخر. يحزّ في نفسي ضمن هذه البيئة أن أرى قطيعة بين بعض الكتّاب مع النشر، كما يحزّ في نفسي أن بعض الكتّاب المهمّين مقصيون بأمر من سلطان اللجان التي تدير الجوائز الأدبية.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

لم يكن في الحسبان نشر كتابي الأول لأنه في جنس الرواية، والرواية في رأيي عمل أدبيّ مقدّس ومهمّ ويجب التدرّب عليه فبعض الكتّاب الذين أعرفهم وينتمون إلى الجيل السابق كتبوا رواياتهم في سن متقدمة، لكن «أحفاد اللذة» كان مصرّاً على الخروج كشهقة. كان ضرورياً جداً إصداره في سن الثامنة والعشرين لأن النضج برأيي لا يقاس بالسن البيولوجي بل بكمّ التجارب وكيف نُرسنا في هذا الكون ومن أي زاوية سنكتب ونتكلم.

> يحزّ في نفسي أن أرى قطيعة بين بعض الكتّاب مع النشر

بطاقة

كاتبة تونسية من مواليد 1990، بصدد إنجاز ماجستير في الآداب العربية بكلية منوبة في تونس العاصمة. ولها تجارب إدارية مع دور نشر تونسية. صدرت لها رواية بعنوان «أحفاد اللذة» عن «عليسة للنشر والتوزيع» (2018).

■ أين تنشرين؟

نشرت كتابي الأول في «دار عليسة للنشر والتوزيع» وأنشر بعض النصوص في مجلات ثقافية مثل «الحياة الثقافية» و«التيماء» و«الترا تونس».

■ كيف تقرأين؟ وكيف تصفين علاقتك مع القراءة؟

هي ضرورة قصوى. لا بد من متابعة آخر الإصدارات على الأقل المهم منها والمتاح في تونس.

أحبّ قراءة السيرة الذاتية، إذ لديّ ميل لهذا الجنس من الكتابة. حالياً أقرأ لبول أوستر بطريقة يومية كعادة مساء.

■ هل تقرأين بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

أحب قراءة الكتب باللغة الفرنسية وإعادة قراءتها مترجمة إلى العربية.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

الآن أنا أترنح بين النثر والشعر. أحيانا أكتب العديد من الصفحات دفعة واحدة بشكل مسترسل وأحياناً أتوقف عن الكتابة لأشهر وحين ينتابني شعور بأنني فقدت ولدي أو أضعت صورة أمي أعود إلى الكتابة. في الأيام القادمة سيكون لي إصدار جديد في جنس الرواية.

سميحة مسعودي (العربي الجديد)

إطلالة

الثقافة والسلطة في مصر... كوميديا سوداء
انقلاب في مجمع اللغة العربية

يدرك النظامُ المصري موقف حسن الشافعي الرافض للنظام العسكري، بينما يتماهى صلاح فضل مع السلطة التي بات أحد أدواتها في الثقافة

فتحي عبد الله

«مجمعُ اللغة العربية» في القاهرة مؤسّسةٌ تقنية خالصة، لا دور للسياسة فيها، أو هكذا يُفترض. يختار المجمع (تأسّس عام 1932) معظم أعضائه من كلّ التخصُّصات المعرفية لإحداث نوع من التوافُق بين اللغة والمعرفة الجديدة. وينتخبُ الأعضاءُ الرئيسُ ووكيلُه بشكل مباشر. في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، جرى انتخاب حسن الشافعي، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة - الذي يتولّى رئاسة المجمع منذ عام 2012 - رئيساً له للمرّة الثالثة على التوالي، للسنوات الأربع المقبلة، بعد حصوله على سبعة عشر صوتاً من أصل ستّة وعشرين، في مقابل تسعة أصوات فقط لمرشح السلطة الأكاديمي صلاح فضل. وهذه النسبة الكبيرة وضعت النظامَ المصري ورجالَه في أزمة شديدة. ولاحقاً، أصدر وزير التعليم العالي المصري، خالد عبد الغفار، قراراً بإقالة الشافعي (1930) ومنعه من الترشّح مرّةً أخرى، قبل أن يُصدر، يوم الخميس الماضي، قراراً بتعيين فضل في منصب «القائم بأعمال رئيس مجمع اللغة العربية»، في سابقة لم تحدث من قبل.

يحدث كلّ ذلك لأن النظام الحالي يدرك موقف حسن الشافعي من النظام العسكري؛ فقد جرى اعتقاله في فترة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، بسبب اعتباره إخوانياً. وبعد خروجه من المعتقل، ظلّ يُدرّس الفلسفة في جامعة القاهرة. وفي فترة مبارك، كان يُمثّل الرؤية الحضارية للإسلام في الحوارات الثقافية، وكانت تربطه علاقة طيّبة بشيخ الأزهر الحالي، أحمد الطيّب، الذين يُبرزون أفعال الدولة على المستوى السياسي والاجتماعي، ويُروّجون لخطابها الثقافي في كل المنتديات.

بالتأكيد، فإنّ الدولة تحتاج إلى مثل صلاح فضل في مؤسّساتها. أمّا حسن الشافعي فإنه لا يصلح لتلك المهمّة. لكن، هل تقبل تلك النخبة من العلماء، أعضاء المجمع، ما حدث؟ وهل ستحدث أزمة أخرى بسبب هذا التدخّل الذي ضرب باختيارهم الديمقراطي عرض الحائط؟ هل سيرفض المثقّفون تلك الفاشية الفاضحة أم أنهم سيصمتون أو يبرزون ما حدث بالدفاع عن «التنوير»؟

(شاعر من مصر)

> هل يصمت أعضاء المجمع أو يبرّرون ما حدث بالدفاع عن «التنوير»؟

حسن الشافعي، رئيس مجمع اللغة العربية

فعاليات

بتنظيم من «جامعة برلين الحرّة»، تُقام ورشة افتراضية باللغة الإنكليزية عند الثالثة من مساء الاربعاء، الخامس والعشرين من الشهر الجاري، تحت عنوان **تاطير السرد: وجهات نظر جديدة حول الإنتاج النصّي ما قبل الحداثة باللغة العربية**، يديرها الأكاديميّان **يوهانس ستيفان** و**بياتريس غروندلر**.

في «مكتبة مصر الجديدة» بالقاهرة، تقام يوم السبت المقبل 28 تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري حلقة جديدة من برنامج **الرواق الفلسفي** الذي يقدّمه الباحث والكاتب المصري **عماد العادلي**. يهدف البرنامج إلى تقديم الفكر الفلسفي وإبرز تياراته من خلال معطيات بسيطة من الحياة اليومية، ويعتمد مشاركة الجمهور من خلال منهجية التوليد السقراطي وتطبيقها على القضايا الراهنة.

حتى الخامس من كانون الاول/ ديسمبر المقبل، يتواصل المعرض الجماعي الذي يُنظّمه «خاليري كاليسر تي» في ضاحية سُكرة بالقرب من تونس العاصمة. يشارك في المعرض ستة فنانين من أجيال مختلفة، هم: **رشيدة عمارة**، و**زياد الاصرم**، و**ماجد زليلة**، و**علي رضا**، و**عدنان حاج ساسي**، و**كمال عبد الله**.

تنظّم «مؤسسة جان مونيه» الفرنسية يوم غد الإثنين ندوة افتراضية بعنوان **الصحافي الأوروبي: بين الأسطورة والواقع** يشارك فيها كل من **إيزابيل أوري** و**ريشار فيرلي**. بحسب تقديم الندوة، ينطلق الحوار من مخاوف تفكّك الاتحاد الأوروبي بسبب أزمة كورونا، ويناقش دور الصحافي في اتّساعاته هل هي قُطرية أم أوروبية؟